موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

أسْبَابُ الثَّبَات عَلَى الدِّين

لفضيلة الشّيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، الواحد الأحد، الحي القيوم، عالم الغيب والشهادة، الذي يجير ولا يجار عليه، هو الفتَّاح يفتح علىٰ عباده، وهو الجبار يَجبُر كَسرهم ويَجبر ضعفهم، وهو أهل التقوىٰ وأهل المغفرة، أهلٌ لأنْ يتقيه العباد أعظم تقوىٰ وأن يخافوه وأن يرهبوه، كما أنَّه سبحانه هو أهل المغفرة يمنُّ بها علىٰ من يشاء من عباده ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾[1].

أحمد الله حمدًا كثيرا، وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك، وأشهد أنَّ محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما مزيدا.

أما بعد..

فأسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم ممن استعملهم في طاعته، وفتح لهم وعلىٰ أيديهم أبواب الخيرات، وغلَّق لهم وعلىٰ أيديهم أبواب الشرور والمنكرات، كما أسأله سبحانه أن يجعلنا من المتعاونين علىٰ البر والتقوىٰ والمتحابين فيه والمتناصحين فيه، إنه جواد كريم.

وفي فاتحة هٰذه المحاضرة التي دعاني إلىٰ إلقائها المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في حي السويدي= أشكر المكتب جهده في هٰذه المحاضرة وفي غيرها من المحاضرات التي ينظمها والدروس العلمية والكلمات المجدولة والمستمرة، كما أني أرجو أن يتعاون الجميع مع هٰذه المكاتب التعاونية في سبيل تحقيق رسالتها.

والثَّباتُ علىٰ الدِّين أمر مطلوب في كل حالٍ وفي كل أوان وفي كل زمان ومكان؛ لأنَّ القلب يتقلّب لهٰذا كان مِنْ منَّة الله جل وعلا علىٰ عبده محمَّد بن عبد الله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ أن قال الله له: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾[الإسراء]، وقال جل وعلا لنبيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾[النساء]، وقال أيضا لنبيه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود:١١٢]، وقال أيضا له: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ﴾[الشورىٰ:١٥].

ولأجل أهمية الثبات علىٰ الدِّين وأنه مطلب من أعظم المطالب الدينية والشرعية كان من دعاء النبي ﷺ «**اللَّهمَّ يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلىٰ طاعتك، اللَّهمَّ يا مقلب القلوب ثبت قلبي علىٰ دينك**».

---

(١) سورة: آل عمران، الآية (١٢٩)، المائدة، الآية (١٨)، الفتح، الآية (١٤).

وفي كل زمن -كما ذكرتُ- يحتاج المرء إلىٰ أن ينظر في أمر دينه وكيف يُحصِّل أسباب الثبات عليه، وفي أزمنة الفتن والتقلُّبات والأحوال التي قد لا يعرِف جُلّ الناس مبتدأها ولا منتهاها ولا عِلَّتها الأولىٰ ولا هلتها الغائية فإنه يعظم أن يحرص العبد علىٰ البُعد عن أسباب الفتن ليكون ثابتًا علىٰ دينه.

فموضوعنا اليوم في الحقيقة مهم، مهم لكل وقت ولهٰذا الزمن بخصوصه.

والثبات علىٰ الدين يظهر عِظمه عند من عظَّم الدِّين وعرف أثره، فتعظيم الله جل علا دين، وتعظيم رسوله ﷺ بما يناسب مقام الرِّسالة دين، وتعظيم القرآن والسُّنة دين، والبُعد عن أسباب الهوىٰ دين، وهٰذه كلُّها مأمور بها في القرآن والسنة.

لهٰذا كان الثبات علىٰ الدين مطلبا يعلم العبد الذي يُعظِّم شأن هٰذه الأشياء ويعرف أثرها علىٰ النفس يعرف أنه من أهم المهمات.

ولهٰذا علىٰ خطر عظيم من تلاعب بدينه، من ظن أن الدِّين والشرع هو مسرحٌ لكل أحد أو ميدان لا خطر علىٰ من دخله، فمن تعدَّىٰ الحدود فيُخشىٰ عليه.

الثبات علىٰ الدين ثبات علىٰ الكتاب والسنة، ثبات علىٰ الحق القديم، ثباتٌ علىٰ سبيل من شهد الله جل وعلا لهم بالرِّضوان والمغفرة والنجاة.

الدِّين يختلف؛ هناك دين الفرقة النَّاجية، وهناك دين أهل الهواء؛ ولٰكِنّ الحقيقة أن الدين الحق هو الذي نسعىٰ إلىٰ الثبات عليه، وهٰذا يتطلَّب معرفة به وعلما به، فصار عندنا أصلان عظيمان لأسباب الثبات علىٰ الدين نجعلهما توطئة لما بعدهما.

أما الأول: فهو الاعتصام بالكتاب والسنة والحقِّ القديم.

وأما الثَّاني: فهو العناية بالعلم النافع من أهله الذين تحقَّقوا بفهم طريقة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.

الاعتصام بالكتاب والسنة

الاعتصام بالكتاب والسنة فهو مطلب عظيم، ولهٰذا كتب البخاري في «صحيحه» كتابًا سماه: الاعتصام بالكتاب والسنة، وكثير من أهل العلم صنفوا مصنفات خاصة في هٰذا المعنىٰ: الاعتصام أو الاعتصام بالكتاب والسنة، وذلك لأن الاعتصام بالكتاب والسنة له أثران:

الأثر الأوَّل: الثَّبات علىٰ الدين.

والأثر الثاني: رد الأهواء وأسباب الفتن التي ترد علىٰ القلب.

والاعتصام بالكتاب والسنة هو الاعتصام بالله والاعتصام بشرعه الذي هو الكتاب والسنة، لهٰذا قال جل وعلا: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[آل عمران:١٠٣]. أهل العلم بالتفسير اختلفوا في معنىٰ (حَبْلِ اللهِ) هنا علىٰ أقوال:

منها أنّ (**حَبْلِ اللهِ**) هو الإخلاص له جل وعلا.

ومنها أنّ (**حَبْلِ اللهِ**) هو القرآن.

ومنها أن (**حَبْلِ اللهِ**) هو السنة المبينة للقرآن.

ومنها أن (**حَبْلِ اللهِ**) هو الجماعة، وهٰذا هو المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وقد قال جماعة من المفسرين ومنهم القرطبي: إن هٰذه الأقوال متقاربة. وهي من اختلاف التَّنوُّع، هٰذه العبارة مني، هٰذه الأقوال كلها صحيح وبعضها يدل علىٰ بعض، فمن أخذ بالقرآن أخذ بالسنة، ومن لزم القرآن والسنة هدي إلىٰ الإخلاص، ومن التزم بذلك فهو علىٰ الجماعة.

أما الجماعة التي فسَّر بها ابن مسعود معنىٰ الاعتصام بالكتاب والسنة فهي جامعة لما تفرق من هٰذه التفاسير، وذلك أنه جل وعلا جعل الحبل مقابل للفُرقة قال: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾، والكتاب والسنة يدعوان إلىٰ الاجتماع وينهيان عن الفرقة، قال جل وعلا في سورة الشورىٰ[الآية:١٣] لما ذكر الرسل: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾، وقال هنا: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾، وقال﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ ﴾[الشورىٰ:١٤]، وهٰذا ظاهر بين في الملازمة ما بين لزوم الجماعة والنهي عن الفرقة.

قال علماء أهل السنة: إن الجماعة في الكتاب والسنة لها معنيان، وإن الفرقة المنهيّ عنها لها معنييان.

أما الجماعة بالمعنىٰ الأول فهي جماعة الدين؛ وهو الاجتماع علىٰ الدين الحق الذي هو مبيَّن في الكتاب وفي السنة وفهمه سلف هٰذه الأمة.

وأما الجماعة بالمعنىٰ الثاني فهي جماعة الأبدان وهو الاجتماع علىٰ من ولاه الله الأمر، ولهٰذا جاء في الحديث الصحيح: «**إن الله يرض لكم ثلاثا: يرض لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بالله جميعا ولا تفرَّقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

فالاعتصام بالكتاب والسنة أعظم أسباب الثبات علىٰ الدِّين؛ بل هو أسُّها وركنها الوثيق، وخلاصته –كما ذكرتُ– لزوم الجماعة، ولزوم الجماعة لزوم الدين الحق وعدم التفرق فيه.

وهناك ملازمة ظاهرة ما بين التفرق في الدِّين والتفرق بين الناس في أبدانهم أو من جهة لزوم الإمام أو ولي الأمر، وذلك أنهم إذا فرّقوا في الدين وكانوا شيعًا وأحزابا فإنه سيؤول ذلك إلىٰ التَّفرُّق الآخر، وإذا تفرّقوا في أمر الدين بأن فرّقوا ولم يؤمنوا بالكتاب كلِّه واتبعوا أهواءهم فإنهم سيتلاعنون ويتفرَّقون في أبدانهم ولا بد.

ولهٰذا كل الفتن التي حصلت في تاريخ المسلمين إنما حصلت من جرَّاء الأهواء وعدم لزوم الجماعة في الدين.

والجماعة لفظها يدل علىٰ التَّكثير، وقد لا يكون الأخذ بها كثيرا، قد يكون أكثر الناس علىٰ غير الجماعة ولهٰذا قال بعض السلف: الجماعة ما وافق الحق وإن كنتَ وحدك، وإبراهيم الخليل عليه السلام كان أمة لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[النحل:١٢٠]، والأمّة هي الجماعة العظيمة، وهو مع كونه واحدا؛ لكن الله جعله أمة لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين.

فعند ظهور الفتن أو التَّقلبات يحصل هناك اضطراب، فالمَخرج في الثبات علىٰ الدين والبعد علىٰ أسباب الفُرْقة هو بلزوم جماعة الدِّين وجماعة الأبدان، ولا بد أن يكون في زمن الفتن أو زمن التقلُّبات اختلاف؛ لأنه تغير شيء ولأنه حدث شيء.

وأعظم ذلك ما حصل بين الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّا عزم الصديق علىٰ قتال مانعي الزكاة، فعزم الصديق علىٰ ذلك فناظره عمر أو سأله عمر: كيف تقاتل من يشهد أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدا رسول الله؟ فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة.

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التبست عليه، ثم لزم طريق أبي بكر، فقال كما في الصحيح: فلما رأيتُ أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال علِمتُ أنه الحق.

لم يستبن لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والأمر من جهاته؛ لكنه لما رأىٰ انشراح صدر أبي بكر لذلك قال: علمتُ أنه الحق؛ لأنه رجع إلىٰ أصل الجماعة والالتزام بالجماعة هو الحق؛ لأن المسألة إذا لم تكن ظاهرة عند صاحبها بدليل ظاهرٍ بيِّن قاطع، فإنَّ لزومه للجماعة حينئذ هو مخرج له مِن زَيغه في دينه أو بعده عن الصَّواب.

فالاعتصام بالكتاب والسنة يشمل لزوم نصوص الكتاب والسنة التي تحثُّ علىٰ لزوم الدِّين وعدم التفرق فيه، وتحثّ علىٰ البحث عن الحق والتحرِّي في ذلك، وتحثّ علىٰ لزوم الجماعة، وتحثّ علىٰ حفظ اللِّسان والبعد عن الرَّدىٰ مما سيأتي بيانه فيما نستقبل إن شاء الله.

[العلم النافع]

الأصل الثاني فيما ذكرنا فهو العلم النافع الذي يجعل المرء متحققا بمفاهيم الكتاب والسنة ومعاني الأدلة عن أهله المتحقِّقين بفهم طريقة السلف وأهل الحق القديم.

الحق موجود، الحقُّ لا يخلو منه زمان، فلابد من وجود الحق، والأمة لا يغيب عنها الحق في أي وقت من الأوقات؛ بل لابد أن يكون ثَم حق وأن يكون ثم قائم لله بحجته في بيان هٰذا الحق؛ لأن الله حفظ هٰذا الدين، ولأنه لابد أن يبقىٰ الحق كما يقول الأصوليون إلىٰ قيام الساعة.

وهٰذا هو معنىٰ وجود الفرقة الناجية التي هي الطائفة المنصورة؛ هي منصورة بالسَّيف والسِّنان عند وجود مقتضىٰ الجهاد الشَّرعي، ومنصورة دائما بالحجة والبيان لأنها علىٰ الحقِّ القديم.

وقد قال بعض السلف: الحقُّ قديم؛ ولكن الشَّأن فيمن يتكلَّم به. وهٰذا أمر بين ظاهر في أنَّ الحق ليس خفيا؛ ولكن قد يشتبه علىٰ بعض الناس، فإذا اشتبه الأمر خاصة في زمن الفتن كان من أسباب الثبات علىٰ الدِّين أن يؤخذ الحق من أهل العلم المتحقِّقين فيه.

ربما يكون الأمر أحيانًا الكلام فيه خير، وربما يكون أحيانًا السكوت فيه خير، وربَّما يكون البيان فيه محمودا، وربما يكون السكوت محمودا.

ولهٰذا قال الخليفة عمر بن عبد العزيز - رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ- عن السلف من الصحابة وكبار التابعين في وصف حالتهم وشأنهم وخلالهم قال: إنهم علىٰ علم وقفوا، وببصر نافذ كَفّوا . وقد ذكره ابن قدامة في كتابه لمعة الاعتقاد، وهي مخرجة في الكتب المسندة، وصفهم بقوله: (إنهم علىٰ علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا).

فمن أسباب الثبات علىٰ الدين أن يقف المرء علىٰ علم صحيح وأن يكف ببصر نافذ، أما إذا لم يقف علىٰ علم صحيح، ولم يكف ببصر نافذ؛ بل خاض بغير علم، ولم يكف لعدم بصيرته فإنه يحدث منه الخلط والهوىٰ ولابد.

لهٰذا العلم النافع مهم جدا؛ لكن هل من مقتضىٰ الزمن الذي تتغير فيه الأحوال أن يكون العلم ظاهرا لكل أحد؟ أو لابد فيه من التسليم؟

قد يكون العلم ظاهرا لكل أحد، وقد يكون في بعض المسائل مبنية علىٰ مقدِّمات شرعية من الأدلة، أو من قواعد الشريعة، أو من فهم الواقع، لا يفقهها كلُّ أحد، فلذلك ليس من شرط السَّلامة من الفتنة، أو الثَّبات علىٰ الدين أن يفقه كلُّ أحد كل الحق في زمن الاختلاف، وقد ذكرت لكم قصة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع أبي

بكر، وهي ظاهرة في هٰذا المجال، وكذلك في زمن النَّبي ﷺ لما وقع صُلح الحديبية وما حصل فيه من مرادَّة عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ، ويقول له: يا نبي الله وهم علىٰ الباطل؟ قال: «**بلىٰ**» قال: علىٰ ما نقبل الدنية في ديننا؟ فقال النبي ﷺ: «**إني رسول الله وإن الله ناصر رسوله**» أو كما جاء عنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

كذلك في وقت قتل عثمان رضي الله عنه حصل الخلاف بين معاوية رضي الله عنه وبين عليّ رضي الله عنه، عليّ رضي الله عنه رأىٰ أن الفتنة أقبلت، فأراد أن يجمع الناس قبل البحث في مسألة دم عثمان والبحث عن قتلته؛ يريد يجمع الناس فإذا تمكن بحث عن القتلة؛ لأن مصلحة الاجتماع أعظم، معاوية رضي الله عنه رأىٰ أنَّ المطالبة بدم عثمان هو المتعين أولا، فحصل الخلاف بينهما وقعت منه ما وقعت، وكان عند أهل السنة والجماعة -كما هو مدوَّن في عقائد السَّلف- أنَّ الصواب مع علي رضي الله عنه.

كذلك لما حدثت الفتن؛ لما حدثت فتنة عبد الرَّحمٰن بن الأشعث المشهورة، وخرج فيها معه من خرج، التبس الأمر علىٰ جمع من الفقهاء؛ لكن آل الأمر إلىٰ أن يتّضح الأمر للشَّعبي ولعدد ممن كان قد ذهب مع ابن الأشعث.

في زمن الإمام أحمد، في فتنة خلق القرآن التبس الأمر حتىٰ علىٰ بعض العلماء، فمنهم من كنّىٰ، ومنهم من ظهر، فصار كلام الإمام أحمد هو الحجَّة في ذلك لأنه تمسك بالحق القديم في هٰذا.

الأمر يعود إلىٰ أنَّه في زمن الاختلاف قد لا يكون الحق ظاهرًا عند كل الفئات، فلابد حينئذ من التسليم لأهل العلم؛ لأنَّه لا يمكن في الفتنة أو في الاختلاف أن يعلم كل أحد كلَّ شيء، أو أن يدرك الأمور الشرعية بتفاصيلها والمصالح والمفاسد وكيف ترعىٰ إلىٰ آخره، حفظت شيئا وغابت عنك أشياءُ.

وهٰذا هو من أسباب الثَّبات علىٰ الدين لا في حق الفرد في نفسه، بل في حقِّ مجموع الأمة؛ الثبات علىٰ دينها العام أنه يُرعىٰ الأخذ من أهل العلم المتحقِّقين به.

النَّظر في حال الاختلاف في مآلات الأشياء

الأمر الثالث من أسباب الثبات علىٰ الدين أنه عند الاختلاف تشتبه البدايات والمآلات، فإذا نظر المسلم في شأنه وجب حينئذٍ أن ينظر في حال الاختلاف في مآلات الأشياء، لا في مبتداها؛ لأن مبتدأها لا يعني الصواب فيها؛ بل الصواب هو غاياتها هو منتهاها.

ولهٰذا عرَّف العلماء الحكمة بأنها: وضع الأمور في مواضعها الموافقة للغايات المحمودة منها.

والمعرفةُ بالمآلات أصلٌ شرعي، ولهٰذا جاءت قواعد شرعية تؤصل هٰذا المبدأ دائما في الشريعة، ونحتاجه للثبات علىٰ الدين في زمن الفتن.

من تلك القواعد:

درء المفاسد مقدَّم علىٰ جلب المصالح. نظر فيه العلماء إلىٰ المآلات.

ارتكاب أدنىٰ المفسدتين لتفويت أعلاهما. يمكن أن يكون عندي مفسدة ومفسدة، لابد أن أرتكب مفسدة منهما، فأختار المفسدة الصغرىٰ وأترك المفسدة الكبرىٰ، هٰذا هو المتعيّن.

ومن القواعد المتصلة بذلك:

قاعدة سد الذرائع. فذرائع الموصلة أو الموسَّعة أو المفضية إلىٰ الفتن يجب أن تسد حتىٰ لا يكون الناس في ريب من دينهم.

ضرَبَ ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، ضرب أمثلة كثيرة في ذلك أذكر منها مثالين:

مثال يتعلق بالمشركين وصنيع النبي ﷺ في مكة.

ومثال يتعلق بالمنافقين وصنيع النبي ﷺ معهم في المدينة.

قال: إن المشركين آذوا النبي ﷺ وآذوا الصحابة في مكة وحصروهم في العام المعروف سنة عشر، حصروهم في الشِّعب وضيقوا عليهم، سأله طائفة من الصحابة سألوا النبي ﷺ في منىٰ، قالوا: يا رسول الله لو شئت لملنا علىٰ أهل منىٰ بأسيافنا. فقال النبي ﷺ: «**لا**»، أو قال: «**لم نؤمر بعد**».

قال ابن القيم: فجعل النبي ﷺ مصلحة الضيم مقدَّمة علىٰ القتال؛ لأنَّ مآل القتال ليس في مصلحة الدِّين.

والمثال الثاني صنيع النبي ﷺ مع المنافقين، المنافقون كانوا يكيدون للنبي ﷺ ، وعملوا مسجدا ضرارا، وقالوا ما قالوا، وتخلفوا عن الجهاد وكانوا يثبطون المؤمنين ووسعوا بالفساد، فلم يعاقبهم النبي ﷺ؛ بل أجراهم علىٰ الظاهر، فظاهرهم مسلمون وباطنهم النفاق، فلما سئل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يقتلهم فقال: «**لا ، لا يتحدث أن محمدا يقتل أصحابه**»، قال ابن القيم: فجعل مفسدة ترك العقوبة لهم محتمَلة؛ لأجل المفسدة الكبرىٰ وهي أن لا يقال: إن محمدا يقال أصحابه.

وهٰذان المثالان المهمَّان في هٰذا الصدد.

فمن أسباب **الثبات علىٰ الدين** في زمن الاختلاف وفي كل حال أن تنظر في الأمور إلىٰ مآلاتها وأن لا تكتفي في النظر إلىٰ مقدماتها.

الناس يشتركون جميعا في معرفة المقدمات، في معرفة البدايات؛ لكن من يعرف المآل وما هي المصلحة التي تُتخذ تجاه هٰذه المآلات، يعرفها أهل الرُّسوخ في العلم، أهل العقل، أهل الإدراك، ولاة

الأمر، ونحو ذلك، ولهٰذا قال جل وعلا في سورة النساء: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾، فهنا قال: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾؛ لأن الجميع يشترك في معرفة هٰذا الخبر وفي معرفة بداياته؛ لكن هنا نبه الله جل وعلا إلىٰ أن الرد إلىٰ الرسول وإلىٰ أولي الأمر يُحدث استنباط مآلات هٰذا الأمر، قال: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ ﴾ هو خبر لكن يستنبطون ماذا؟ يستنبطون المآلات منه وما هي المصلحة تجاه ذلك.

لهٰذا ذم السَّلف الدُّخول في الفتن، وامتدحوا الحرص علىٰ الدِّين وكف اللسان؛ لأنَّ المآلات تخفىٰ.

وإذا نظرت إلىٰ ما حدث في التاريخ من حوادث وجدتها ناتجة عن معرفة بالبدايات وجهل بالنهايات، وقد ذكر البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنهم كانوا يُنشدون إذا ابتلوا بالمعارك:

الحربُ أول ما تكون بهيَّة ... تسعىٰ بزينتها لكل جهول

بداياتها بهية نغلبهم نضربهم نعمل فيهم إلىٰ آخره، (تسعىٰ بزينتها لكل جهول)، هل تسعىٰ بزينتها لأهل النظر؟ لا، لكل جهول قال: كان السلف يحبون أن يذكروا هٰذا البيت، إذا بدأت الحروب وهٰذا ظاهر بين في فقههم في النهي عن ذلك.

كف اللِّسان

الرابع من وسائل الثبات علىٰ الدين أن يكف العبد عليه لسانه، اللسان هو ميدان الابتلاء، قالوا: قلت: يا رسول الله؛ وإنّا لَمُؤاخَذون بما نقول؟ فقال: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ - أَو قال: عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ - إِلاّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»، قد يعاقب الله العبد بكلامه بأن يصرفه عن رؤية الحق؛ لأنه تسرَّع فيما لا علم له به؛ ولأنه نسب للشريعة ما لا علم له به، لهٰذا كف اللِّسان كان من منهج السلف.

ومن أسباب الثبات علىٰ الدين في كل حال وفي زمن الاختلاف والفتن بخصوصه أن يكف العبد لسانه.

ننظر إلىٰ أنه في زمن الاختلاف يحصل أن تتكلم الألسنة بما شاءت، فهٰذا مذموم، وهٰذا مقدوح، وهٰذا علىٰ الصواب، وهٰذا علىٰ الباطل، وهٰذا فيه، وهٰذا فيه، ما بين قادح، وهٰذا يؤيد هٰذا وهٰذا يؤيد هٰذا.

والواجب أن يكف اللسان أولا وأن يقول العبد خيرا أو ليصمت؛ لأنه باللسان تكون الفرقة، وقد يؤول الأمر باللسان إلىٰ أنه يحصل نظر من الناس في كره بعضهم لبعض.

وتأملوا كل التاريخ ستجدون أنه ما حصلت فتنة وإلا وحصلت بعدها فرقة، لا يوجد فتنة حصلت إلا ويكون بعدها فرقة ولا بد، لماذا؟ لأن الناس أكثرهم لا يعون كف اللسان ومعرفة القواعد؛ بل يخوضون

غيرة أو يخوضون حماسا أو يخوضون رغبة في الانتصار ولهٰذا أو هٰذا، ولكن كفُّ اللسان مدعاة للتقليل من أثر الفتن والتغيرات علىٰ المسلمين.

الله جل وعلا قال لعباده: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ ﴾[الإسراء:٥٣].

من أسباب ثباتك علىٰ الدِّين أن لا تشغل لسانك في زمن الفتن بالأحكام التي تلقىٰ إما أحكام كفر أو أحكام تضليل أو نحو ذلك؛ لأن هٰذه الأحكام لها ما بعدها من التصرفات، وليسعك ما وسع السلف من أنهم يركنون إلىٰ أهل العلم، وأنهم يكفُّون عليهم ألسنتهم.

مثلا إذا نظرنا ما يمكن يحصل إلىٰ اختلاف إلا وتبدأ الأحكام: هٰذا كافر، هٰذه ردة، هٰذه بدعة، هٰذا ضال، هٰذا مداهن، هٰذا فاجر، إلىٰ آخره.

والناس إذا ضعف عندهم العمل للإسلام والسعي إلىٰ ما فيه الخير صاروا أهل حكم وهم علىٰ الأرائك، يجلس علىٰ أريكته، ويبدأ يصدر الأحكام والأقوال وإلىٰ آخره، وهو لا يعمل في الحقيقة للإسلام بل غره الشيطان منه أن عمله الدين يكون بإصدار هٰذه الأحكام والأقوال.

والواجب علىٰ المسلمين العمل، نعم من قال كلاما علىٰ وجه الغيرة، فإنه يعامل بحسبه، ولا يؤاخذ كما يؤاخذ من قاله عن هوىٰ، كما فعل عمر ﵁ حينما قال لحاطب: يا رسول الله دعني أضرب عنق هٰذا المنافق. سماه منافقا مع أنه بدري لأجل الغيرة، فلم يؤاخذ عمر ﵁ لأجل الغيرة؛ لكن الواجب أن نكف الألسنة وأن نترك الأحكام لأهل العلم، ولهٰذا قال النبي ﷺ: «**من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**» لابد، وهٰذا خطر عظيم بأنه يقال: تصدر الأحكام دون نظر أهل العلم المتحقِّقين فيه.

الإقلال أو الامتناع عن رؤية الفضائيات

من وسائل الثبات علىٰ الدين الخاصة بهٰذا الوقت الذي نعيشه الإقلال أو الامتناع عن رؤية الفضائيات المختلفة حتىٰ في الأمور الإخبارية؛ لأنَّ عدو الأمة يعلم أن مصدر الاضطراب عند الناس إنما يكون بالمعلومات؛ بالمعلومات الصادقة أو بالمعلومات الكاذبة.

ولهٰذا من طالع هٰذه الفضائيات، كما ترون اليوم وما فيها من أخبار بعضها صحيح وبعضها غير صحيح ومن نقاشات أصبح فيها بثٌّ للجهل، وقد جاء في «صحيح البخاري» أنّ النبي ﷺ قال -وتأملوا هٰذا الحديث وهو من دلائل نبوته ﷺ-: «**لا تقوم الساعة حتىٰ يقل العلم ويُبثُّ الجهل**» كلمة (**يُبثُّ**)، (**لا تقوم الساعة حتىٰ يقل العلم ويُبثُّ الجهل**) فإذا كان المسلم إذا جالَس عالما في اليوم ساعة أو ساعتين

اكتسب منه علما وأثر في نفسه، فكيف إذا جالس جاهلا أو فاسقا أو منحرفا لساعات طوال أمام هٰذه القنوات الفضائية.

فأولا الحذر منها من جهة الشُّبهات؛ لأنها تعطي شبهات وقد يشك المرء ممن يدمن النظر أو يعتني بها قد يشك في دينه.

والثاني قد يحذر منها من جهة الشبهات؛ لأنها سبيل أيضا إلىٰ تغيير تدين العبد.

قد يحتاج بعض الناس لأسباب شرعية أن ينظر بعضها مما فيه مصلحة للدين.

لكن العامة عامة الناس لا يناسبهم ذلك.

ولهٰذا الحذر من هٰذه القنوات الفضائية مما يبث فيها من جهالة، ومن نظر فيها فليميز، وإذا نظر ووجد أن نفسه أنها تتأثر ولا يميز بل يصدق ما جاء فيها أو تستثار النفوس بما فيها فإنه يحذر علىٰ دينه من ذلك وعلىٰ أن لا يقع في الأهواء.

المسألة ما عادت اقتصرت علىٰ علم أو بحوث شرعية أو اختلافات أو أقوال يعني راجح ومرجوح في الشريعة.

أصبحت المسألة تثار النفوس فيها لأجل عدم الوئام؛ لأجل الكراهية تنمية الكراهية، تنمية الفرقة في النفوس حتىٰ يحدث في النفوس ما يحدث، وتُشْعِر الناس بأنك إذا فهمت فأنت الناقد أنت البصير أنت الفاهم حتىٰ يكون عندك قوة في رد الحق بمقتضىٰ الرأي ومقتضىٰ العقل، وهٰذا مذموم مطلقا، لذلك ينبغي التنبه إلىٰ هٰذا.

وقد أبلغني بعض الإخوة أنّ من الناس من أدام النظر في مثل هٰذه القنوات الفضائية، وهٰذا مذموم لا من جهة كثرة الشبهات الواردة فيها ولا من جهة أيضا تسلط الشهوات وأصحاب الشهوات علىٰ هٰذه القنوات، والله جل وعلا يقول: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء]، وهٰذا ظاهرٌ بيِّن.

كثرة العبادة

الوسيلة أو السبب السادس فهو كثرة العبادة، من أسباب الثبات علىٰ الدين كثرة العبادة أن يعلم أن الله جل وعلا أنك معظِّمٌ له محب له محب لقربه وللتقرب منه جل وعلا وخاصة عند زمن الاضطراب والفتن، كثرة العبادة من أعظم الوسائل.

العبادة أعظمها توحيد الله جل وعلا، وتعظيم طاعة رسوله ﷺ، بمداومة الصلاة فرضها ونفلها، قراءة القرآن، الذكر.

ننشغل بكلام الخلق عن كلام الخالق، هجَرَ كثير من الناس القرآن، الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ كان لا يمر مع كثرة ما عليه من أمور -وهو العالم الجليل الذي أمور الناس وسؤالهم والتَّعليم إلىٰ آخره منصبَّة في ساحته-، كان لا يمر عليه يوم إلا وينشر المصحف يقرأ فيه، ولو كان حافظًا؛ لأن النظر في المصحف له شأنه.

كثرة الصلاة، إذا أردت أن تقيس نفسك من جهة، هل ما أنت فيه، مثلا ما يخوض الناس فيه، أو ما تريد ما تخوض فيه، وما أقبلت عليه، هل فيه تعظيم لأمر الله أو أنه من الأهواء فانظر شأن الصلاة والقرآن عندك.

إذا كان هٰذه الأمور تجد معها أنسًا في الصلاة وأنسًا في قراءة القرآن فيرجىٰ أن تكون علىٰ خير.

أما إذا كانت قسوة علىٰ القلوب فاحذر وحاذر؛ لأن الله جل وعلا يعاقب ومن عقوبته قسوة القلب، وهٰذا خطر عظيم مع أنه ميزان مهم.

العبادة من أعظم أسباب الثبات علىٰ الدين، ولهٰذا قال جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[النساء]، قال في أولها: ﴿أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ أقبل علىٰ ربك واسأله الثبات واسأله البصيرة في أوقات الإجابة وفي آخر الليل، نبينا ﷺ الذي تكفّل له ربه بالحق وهو الذي يهدي إلىٰ الحق وبه يقضي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ، هٰذا ماذا كان يقول في دعائه في ليله؟ يقول: «**اللَّهمَّ اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراط مستقيم**».

الاغترار بالنفس وعدم العبادة وعدم اللجوء إلىٰ الله جل وعلا، هٰذا من أسباب الوقوع في الأهواء، والشَّيطان يأتي العبد من هٰذه الجهة.

أسباب الثبات علىٰ الدين كثيرة ومتنوعة؛ لكن يجمعها ما ذكرنا من:

الاعتصام بالكتاب والسنة، ولزوم الجماعة، وأخذ العلم عن أهله المتحققين به، والبعد عن الأهواء، والنظر في المآلات، والاعتبار بالعلل الغائية للأشياء، ولزوم كف اللسان، ولزوم العبادة، والحذر مما يلقيه أعداء الإسلام إلينا في وسائلهم المختلفة عبر نقلة إما قاصدين أو غير قاصدين.

كما أني أنبِّه إلىٰ أنَّ المسألة عظيمة اليوم، والواجب تحرِّي العلم بدليله، وتحرِّي الحكم في المسائل والنظر فيها بدليله الشَّرعي، وَفق القواعد الشرعية؛ لأن الشريعة جاءت لتحقيق المصالح ودرء المفاسد، جاءت للحفاظ علىٰ أهل الإسلام وعلىٰ بيضتهم، ولو ارتكبت بعض المفاسد، فإنَّ ارتكاب بعض المفاسد الصغرىٰ للحفاظ علىٰ المصالح الكبرىٰ هٰذا أمر مطلوبٌ في الشرع، والقواعد بل والنصوص تقتضيه.

ممَّا يهمُّ طالب العلم النظر فيه وقت الاختلاف: النظر في القواعد الفقهية؛ لأنَّ القواعد الفقهية فيها رؤية لتعليلات الأحكام ومقاصد الشَّريعة، ومن نظر في الشريعة بدون معرفة المقاصد وعلل الأحكام والقواعد الشرعية الفقهية التي نصّ عليها أهل العلم؛ فإنه قد لا يدرك الصواب فيما ينظر فيه من الأحكام.

أختم بهٰذا، وأسأل الله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسداد، وأن يجعلنا وإياكم ممَّن منَّ عليهم بالثبات علىٰ الدين.

وأشكر في الختام أخي الشيخ عبد الله بن سليمان المهنَّىٰ علىٰ تقديمه وعلىٰ عنايته بالأسئلة، وعلىٰ جهده الدائم معنا في الوزارة لما فيه النفع العام.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا محمد.

[الأسئلة وأجوبتها]

المقدِّم: شكر الله لمعالي الشيخ هٰذه الكلمة الطيبة، ونسأل الله ﷻ أن تكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يكتب لمعالي الشيخ الأجر والمثوبة.

فيما بين الأذانين نعرض علىٰ معالي الشيخ بعض الأسئلة التي وردت إلينا، ننتقي منها ما يناسب المقام.

سؤال (١): بعض الإخوة استشكل قول معاليكم في وصف الحق بأنه قديم، يريد إيضاحا لهٰذه الكلمة؟

الجواب: هٰذه قالها طائفة من السلف، ويعنون بها أنّ الحق موجود في الكتاب والسنة، وعند السلف من الصحابة والتابعين وعند أئمة الإسلام، فلا يمكن لأحد أن يأتي في زمن ويقول: أنا وصلت إلىٰ مسألة وعرفت فيها الحق مع أن المتقدِّمين وأئمة الإسلام لا يعرفونه.

ولهٰذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام، لماذا؟ لأن المسائل الشرعية الكبرىٰ هٰذه موجودة، وما تفرَّقت الفرق وظهرت الأهواء إلا لعدم تسليمهم لمن سبقهم بالإيمان.

الخوارج ظهروا لأنهم لم يسلموا للصحابة، والحق قديم مع الصحابة، فهم نظروا في أن الحق ما ذهبوا إليه فضلوا.

والرافضة نظروا في أن الحق ليس مع السنة وأن معهم بما أحدثوا.

وكذلك القدرية وكذلك المعتزلة والجهمية، كل الفرق.

غلاة الصوفية يقولون نحن أحدثنا هٰذه الأشياء لكذا.

لكن الحق قديم، والحق ليس محدثا والحق لا يزال في الأمة.

سؤال (٢): بارك الله فيكم يقول: معالي الشيخ في أوقات الفتن -أعاذنا الله منها- يكاد يزيغ قلب المسلم لكثرة رؤوس جهال الذين يضلون ويضلون ويتورع العلماء الربانيون في الخوض في هٰذه الفتن والسلامة لا يعدلها شيء.

ما توجيه معاليكم للشباب المسلم خصوصا من هو حريص علىٰ طلب العلم وجزاكم الله خيرا؟

الجواب: وصيتي هي الأخذ بما دلت عليه آي القرآن وأحاديث النبي ﷺ وقواعد السلف في هٰذا المضمار، وقد ذكرت لك في هٰذه المحاضرة طرفا منها.

فأرجو، أرجو لمن أخذ بها لوضوح أدلتها أن يكون ممن حافظ علىٰ دينه ولم يعرِّض دينه للأهواء، والعلماء لا شك يسكتون في موضع السكوت، ويبينون في موضع البيان، وهٰذا أمر ظاهر بيّن، وحسن الظن بهم وتوقيرهم والثقة بمقالهم وما يصدرون عنه فهٰذا واجب؛ لأنه هو الذي يقتضيه قول الله جل وعلا: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

فإذا اشتبهت الأمور فإذا سألت أو أخذت بكلام جماعة من أهل العلم فإنك علىٰ خير وهدىٰ.

سؤال (٣): بارك الله فيكم، يقول: معالي الشيخ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قرأنا لمعاليكم فتوىٰ في مجلة الدعوة بعدم الدعاء علىٰ اليهود والنصارىٰ بالهلاك، فأشكل علينا قول نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦﴾[نوح]، فنأمل من معاليكم توضيح هٰذه الفتوىٰ مع ذِكر الأدلة؟

الجواب: هٰذا كان علىٰ إثر سؤال جاء حين قمت بزيارة مؤسسة الدعوة الصّحفية التي تصدر مجلة الدعوة.

---

(١) الأنبياء:٧، النحل:٤٣.

وقد نبهت مرارا من قديم علىٰ هٰذه المسألة لعدم موافقتها لأصول الاعتقاد؛ وذلك أنَّ الدُّعاء بالهلاك بعامة علىٰ الكفار هٰذا كان لنوح عليه السلام، والرسل بعده لم تدع بالهلاك العام، قال جل وعلا: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾[نوح] الآيات، والنبي ﷺ قال له الملك: لو شئت لأطبقت علىٰ أهل مكة الأخشبين. فقال: «لا، **لعلّ الله أن يظهر من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له**»، ولعن النبي ﷺ بعض صناديد الكفر فنزل عليه -كما في «كتاب التوحيد»- قول الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[آل عمران].

وهدي النبي ﷺ وهدي الصحابة في دعائهم علىٰ الكفار أن يكون دعاء خاصا علىٰ المعتدي، علىٰ الظالم، علىٰ من حارب الإسلام وأهله، كما في دعائهم في القنوت: **اللهم عليك بكفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن دينك ويقاتلون أولياءك**».

أما الدعاء علىٰ اليهود والنصارىٰ جميعا بالاستئصال فإنه لا يجوز شرعًا وهو من الاعتداء في الدعاء؛ وذلك لأن الله جل وعلا أخبرنا أن اليهود والنصارىٰ يبقون إلىٰ زمن خروج المسيح الدجال.

فإذا دعا أحد بأن يستأصلهم الله جل وعلا الآن قبل نزول المسيح الدجال فهو اعتراض علىٰ ما أجرىٰ الله حكمته وقدَره الكوني ببقائهم إلىٰ آخر الزمان.

ولهٰذا لم يؤْثر علىٰ أحد من السلف ولا من أئمة الإسلام أنه دعا بهٰذا الدعاء العام علىٰ اليهود والنصارىٰ، وإنما يُدعىٰ بالدعاء الخاص لمن قاتل، لمن حارب، لمن آذىٰ المؤمنين ونحو ذلك.

الأمر الثاني من الوجهة: أن الله جل وعلا له الأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ، ومن المتقرر عند أهل السنة والجماعة أن للأسماء الحسنىٰ والصفات العلىٰ آثارا علىٰ خلق الله جل وعلا، فمنها أسماء وصفات ترجع إلىٰ عموم الخلق، ومنها أسماء وصفات يرجع أثرها إلىٰ خاصة المؤمنين.

فمما يرجع إلىٰ عموم الخلق: الخالق، الرَّازق، المحيي، المميت، الخافض، الرافع، القابض، الباسط، وبعض أنواع الرَّحمة، فأسماء الله جل وعلا وصفاته لها أثر علىٰ جميع خلقه مؤمنهم وكافرهم.

ولهٰذا نبَّه جل وعلا إبراهيم الخليل علىٰ هٰذا الأصل، وفي تنبيه إبراهيم الخليل عليه السلام علىٰ ذلك تنبيه لجميع الحنيفيين، قال إبراهيم الخليل: ﴿وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قال جل وعلا: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ﴾[البقرة:١٢٦]؛ يعني أن مسألة الرزق هٰذه من آثار ربوبية الله جل وعلا لعباده فرزق العباد سلامتهم من الأمراض إعطائهم الصحة والأرزاق والإفاضة عليهم وابتلائهم، هٰذه من آثار الربوبية وليست خاصة بالمؤمن دون الكافر.

ولهٰذا الدعاء هٰذا مع عدم وروده من أحد من الأئمة ولا من السلف ولا ثبتت فيه سنة ولا قول صحابة، أيضا هو مخالف كما ذكرنا لسبب نزول قول الله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[آل عمران]، ولمعرفة هدي السَّلف في الدعاء، لمعرفة آثار الأسماء والصِّفات علىٰ الخلق.

ومنافاة حكمة الله جل وعلا، هٰذا اعتداء في الدعاء، مثلا يدعو بدعاء مستحيل في دعائه:

يقول: اللّٰهمَّ اخرج نبيا يهدي الناس، النبوة خُتمت، وهو ولو كان دعاء فهو دعاء باطل لمنافاته لما أخبر الله جل وعلا به.

أو دعا قال: اللّٰهمَّ أخرج المهدي الآن، اللّٰهمَّ أنزل المسيح عيسىٰ بن مريم الآن. هٰذا دعاء باطل لأنه قد أخبر الله جل وعلا وأخبر رسوله ﷺ أن وقت خروج المهدي أو نزول عيسىٰ عليه السلام لم تأت علاماته الآن.

أو يدعو بدعاء ممتنع من جهة الخَلْق.

هٰذا كلُّه من الاعتداء في الدعاء.هٰذا مأخذ الكلمة التي نُشرت في مجلة الدعوة.

سؤال (٣): هٰذا سؤال ورد من الإمارات عبر الانترنت: امرأة مصرية مقيمة بالإمارات وأمها مريضة في مصر، وتريد زيارتها لكن الأم أقسمت أن لا تزورها ابنتها، فهل يجوز أن تزورها وتكفِّر عن يمين أمها؟

الجواب: لا، يجب أن تطيع أمها؛ لأن زيارة المريض زيارة الأم المريضة حقٌّ لها وبر بها، فإذا أسقطت عن نفسها هٰذا الحق لسبب تعلمه أو لرفق بولدها أو بابنتها، فإن هٰذا الحق لها، فليس لها أن تخالف أمها في ذلك فمن البر أن تطيع الأم في البقاء.

سؤال (٤): ألا يرىٰ معاليكم في ظل كثرة القنوات الفضائية واحتوائها علىٰ كثير من الباطل ضرورة إنشاء قناة إسلامية وذات عقيدة صحيحة ومنهج سليم تبثّ من أرض الحرمين الشريفين؟

الجواب: وهٰذا واجب، وإن شاء الله الوسائل الآن المساعدة لوجود هٰذه القناة الفضائية قائمة، وستخرج إن شاء الله في السنة القادمة، نسأل الله التيسير.

سؤال (٥): هٰذا السائل يقترح أن يكون لوزارة الشؤون الإسلامية صفحات في الجرائد اليومية تبيِّن وتبرز منها مناشط الوزارة بمحاضراتها ودروسها وكلماتها.

الجواب: هٰذا أمر طيِّب ومطلوب، ولكن ما ينشر في الصحف كما تعلمون علىٰ نوعين:

شيء تختاره الصحيفة هٰذا متروك لهم، هم تعطيهم الخبر والمحاضرة والمقال وهم يختارون ينشرونه أو لا ينشرونه.

والقسم الثاني أن تدفع الثمن؛ يعني يمكن أن تأخذ صفحتين لكن بثمن، وهٰذا ثمنها مرتفع جدا إذا كانت يومية.

لهٰذا نحن أخذنا في بعض الصحف صفحتين أو ثلاث أو أربع بحسب الإمكانات ولبعض المناسبات.

وموجود أظن الآن بعض الجرائد أظن الجزيرة أو شيء صفحة أو صفحتين للوزارة أو صفحتين للهيئات الأمر بالمعروف في ذلك.

وعلىٰ العموم التواصي بالحق في هٰذا الأمر مطلوب، ونرجو أن يتحقق ما ذكره السَّائل بهٰذا الشكل أو بغيره.

سؤال (٦): يقول: هل توصيني في ظل هٰذه الأحداث أن أدخل مع الناس في نقاش وأبيّن الحق أو أعتزل أو أترك الخوض في ذلك؟

الجواب: هٰذا يختلف بحسب المَلَكة في ذلك، إذا كان عند الإنسان ملكة قوية، وطلب للعلم، وظهور للموقف الصحيح موقف أهل العلم والبرهان والدليل، ويستطيع أن يبيِّن، فليبين وهٰذا إن شاء الله من الجهاد والمأجور عليه.

وأما إذا كان يخشىٰ علىٰ نفسه بضعف ملكته أو عدم قدرته علىٰ الجدال علىٰ مناقشة من يكون ألحن بحجته، فإنه الأفضل له أن يبيّن السنة ويبين كلام أهل العلم ثم يسكت.

لهٰذا قال الإمام مالك لمن سأله الرجل عنده السنة: أيجادل عليها؟ قال الإمام مالك لا يخبر بالسنة وإلا سكت؛ لأنه لأحيانا يأتي من يجادل ويقنع الآخر لضعف علمه بخلاف السنة، **وقد قال بعض السلف: لا تصغي إلىٰ ذي هوىٰ بأذنيك فإنك لا تدري ما يلقي إليك**.

المسألة في مثل هٰذه الأزمنة ترجع إلىٰ المَلَكَة والقدرة والثبات علىٰ ذلك.

المقدِّم: في ختام هٰذا اللقاء الطيِّب لا يسعنا إلا أن نشكر معالي الشيخ علىٰ البيان والإيضاح، ونشكر لكم حضوركم واهتمامكم، ونسأل الله أن يكتب ذلك في ميزان حسنات الجميع، والحمد لله ربِّ العالمين.